

المجلد: 06، العدد: 01 (2022)، ص 1168-1182

القيم الإنسانية في نصوص جبهة التحرير الوطني الموجهة لطائفة يهود الجزائر
Human Values in the texts of the National liberation Front directed to
the Algerian Jews

✍️ نور فاطمة الزهراء
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
fatma.zohra.nour@univ-alger2.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2022/03/29 تاريخ القبول: 2022/05/28	أدركت جبهة التحرير الوطني منذ البداية أنها أمام تركيبة اجتماعية متنوعة في الجزائر، وأنها لا تستطيع الجمع بين مختلف هذه التشكيلات إلا إذا انتهجت أساليب تحقق العدالة الاجتماعية وتغرس القيم الأخلاقية والإنسانية بين مختلف أفراد المجتمع، وبما أن طائفة يهود الجزائر وعلى مر العصور اعتبرت جزء من التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر، فقد أولتهم اهتماما كبيرا، وحاولت في كل مرة من خلال النصوص والنداءات الموجهة لهم اقتناعهم بأن الجزائر المستقلة قائمة على العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين كل من يحمل الجنسية الجزائرية.
الكلمات المفتاحية: ✓ جبهة التحرير الوطني ✓ بيان أول نوفمبر ✓ ميثاق الصومام ✓ القيم الإنسانية	Abstract: The national liberation front realized from the beginning that it is facing a diverse social structure in Algeria and that it can not combine these various formations unless it adopts methods that achieve social justice and instill moral and human values among the varioues members of society. Ages were considered part of the social sturcture of the population of Algeria, the front paid them great every time through texts and appeals addressed to them to convince them that independent Algeria is based on justice and equality in rights and duties among all those who hold Algerian citizenship.
Article info Received: 29/03/2022 Accepted: 28/05/2022 Key words: ✓ the national liberation front ✓ first November statement ✓ charter of soummam ✓ human values	

إذا كانت الثورة بمعناها السياسي العام تعبيراً يدل على العمل العنيف. والذي يهدف في إحدى معانيه طرد القوى الاستعمارية الأجنبية من البلاد¹، فإن الثورة التحريرية وإن كانت كذلك إلا أنها حملت في طياتها بعداً إنسانياً قلما اتسمت به باقي الثورات في العالم، ولعل العامل الديني كان له الدور الأكبر في إبراز الطابع الأخلاقي في هذه الثورة.

كما أن قادة الثورة قد حرصوا من خلال بيان أول نوفمبر وميثاق الصومام فيما بعد، على توضيح موقفهم الثابت والتمثل في تمسكهم بقيم التسامح التي أمر بها الدين الإسلامي اتجاه كل الأوروبيين المقيمين بالجزائر على اختلاف جنسياتهم أو دينهم رغم ما قاسه الشعب الجزائري على أيديهم من تحقير ونهب لثرواته، فما بالك بموقفهم من يهود الجزائر الذين طالما اعتبرتهم الجبهة جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري، وأن السياسة الاستعمارية القائمة على قاعدة "فرق تسد" هي من سلختهم من بيئتهم الأصلية.

وانطلاقاً من هذه الفكرة سنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية: ماهي الأبعاد الإنسانية والأخلاقية التي تضمنتها نصوص جبهة التحرير الوطني اتجاه يهود الجزائر؟

1. موقف جبهة التحرير الوطني من يهود الجزائر

عملت جبهة التحرير الوطني منذ البداية على معاملة يهود الجزائر على أساس أنهم من أصحاب البلاد، شأنهم في ذلك شأن باقي المسلمين الذين يكونون التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر، وذلك بحكم تواجدهم بالجزائر منذ آلاف السنين وأنهم كانوا لا يختلفون عن المسلمين إلا في المعتقد الديني، إذ أنهم كانوا يشتركون جميعاً في الملابس والمأكول والمشرب حتى في الأسماء العربية التي كان يحملها أغلب اليهود.

هذا وإن كانت فرنسا قد نجحت في سلخ يهود الجزائر عن جزائريتهم قانونياً واجتماعياً، إلا أن الجبهة لطالما اعتبرتهم مكوناً أساسياً من مكونات المجتمع الجزائري، وهذا لا لشيء سوى لأن قادة الثورة التحريرية عملوا على اعتبار ثورتهم ثورة شمولية لا تميز بين مختلف أطياف المجتمع الجزائري، فالمهم هو أن تجمعهم فكرة واحدة تتمثل في محاربة الاستعمار الفرنسي.

وقد لخص محمد لجاوي هذا المبدأ بقوله: "بالنسبة إلينا مع بداية كفاحنا، كانت هناك مسألة مبدأ مطروحة: وهو استبعاد بعزم وتصميم كل ما له علاقة من قريب أو بعيد من شأنه أن يذكرنا بالعنصرية البشعة التي عانينا منها، كما يمكننا إدانة موقف هذا الشخص أو ذاك أو حتى هذه المجموعة أو تلك، ولكن لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن نفعل ذلك على أسس دينية أو عنصرية"².

فقيادة جبهة التحرير يعتبرون أن اليهودي أو المسلم أو الأقدام السوداء الذين يشاركون في عملية التحرير الوطني إخوة لهم، وأن خصومهم الوحيدة هم أنصار الاستعمار سواء كانوا مسلمين أو يهود أو أوروبيين³، فالمهم أن تجمعهم فكرة واحدة تتمثل في محاربة الاستعمار الفرنسي.

2. القيم الإنسانية اتجاه اليهود من خلال النصوص الأساسية

1.2. من خلال بيان أول نوفمبر

فهم قادة الثورة التحريرية من البداية أنهم أمام تشكيلة اجتماعية متنوعة من أوروبيين وفرنسيين بما فيهم فئة اليهود الذين أصبحوا كذلك بعد تجنيسهم بموجب "مرسوم كريميو" سنة 1870، لأنهم في الأصل من أهل البلاد⁴، لهذا عاملتهم الجبهة على أساس أن تعيدهم إلى أصولهم الأولى.

وبما أن وثيقة بيان أول نوفمبر تعتبر المرجعية الأساسية للثورة فكان لابد أن يوجه إلى كل أطراف المجتمع، ولهذا البيان أول ما بدأ بعبارة "أيها الشعب الجزائري"، إذن فهو موجه مباشرة إلى الشعب الجزائري برمته دون وسيط وإلى مختلف فئاته الاجتماعية وتوجهاته السياسية باعتباره حاكما وحكما يتمتع بكل شخصياته متحررا من كل وصاياه لحزب أو زعيم⁵.

هذا وإن كان البيان لم يأت على ذكر اليهود بطريقة مباشرة، إلا أنه هناك ما يشير إليهم وذلك في سياق الحديث عن أهداف الثورة، حيث جاء في البيان أن هدف الثورة هو الاستقلال الوطني وذلك لا يكون إلا باحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني⁶، كما تعهدت الجبهة من خلال البيان بضمان المساواة في الحقوق بين جميع سكان الوطن بدون تفریق أو تمييز، وهو ما يؤكد أن الثورة كانت تعتبر اليهود غير فرنسيين بل هم جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري وأنهم طائفة دينية تتمتع بكامل الحريات التي تفرضها مبادئ التسامح الديني في الإسلام⁷.

2.2. من خلال ميثاق الصومام 20 أوت 1956

حاولت الجبهة من خلال ميثاق الصومام التأثير أكثر في نفسية الأوروبيين عموما ويهود الجزائر خصوصا، وأولتهم اهتماما معتبرا خاصة أنهم حتى تلك الفترة لم يحدد اليهود موقفهم من الثورة، فأكدت الجبهة على أنه ليست الغاية من الثورة التحريرية "أن تلقى في البحر بالسكان الأوروبيين ولكنها تحطيم نير الاستعمار الوحشي وليست الثورة الجزائرية حربا أهلية ولا حربا دينية وإنما تريد أن تسترد الاستقلال الوطني لإقامة الجمهورية الديمقراطية واجتماعية تضمن مساواة حقة بين جميع سكان الوطن بدون تفریق ولا تمييز"⁸.

كما أفشلت الجبهة المخططات الاستعمارية الرامية إلى دفع المسلمين إلى مقاطعة التجار اليهود في النصف الأول من سنة 1956، فما كان من وثيقة الصومام إلا أن نبهت اليهود إلى سماحة المسلمين ومعاملتهم الحسنة لهم، وقد استمدوا تلك المعاملة من تراثهم الإسلامي العريق ومن تاريخ الجزائر الذي شهد الكثير من حالات التعاون بين الطرفين⁹.

ولم ينس قادة الثورة من خلال ميثاق الصومام أن يذكروا اليهود بأن منهم من اقتنع بإيديولوجية الجبهة وفضل الوقوف مع الحق ضد الباطل، وذلك في قولها: "إن بعض اليهود تأثروا بالقمع الاستعماري وعنصرية المعمرين والتحقوا بالثورة وتحملوا عذاب السجون والمحتشدات وتعلقوا بوطنهم الجزائر"¹⁰.

3.2. من خلال الرسائل والمناشير

لعل أول نداء رسمي وجهه جيش التحرير الوطني للطائفة اليهودية لتوضيح موقفها من الثورة، هو ذلك النداء الذي جاء عقب أحداث قسنطينة يومي 12 و13 ماي 1956 بين المسلمين واليهود، وملخص هذه الأحداث أن شخصا مجهولا قام برمي قنبلة يدوية بإحدى المقاهي ثم فر متجها نحو الحي اليهودي، وفي نفس الوقت تحركت جماعة من الفرنسيين المدنيين المسلحين وهاجموا الأحياء العربية المجاورة للحي اليهودي، ثم بدأت سلسلة من الاعتداءات على المسلمين في مختلف أحياء قسنطينة، ولم تهدأ الأوضاع إلا مساء اليوم الموالي¹¹. هذا النداء الذي وجهته جبهة التحرير الوطني عبارة عن رسالة خطية من قادة المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) إلى نقيب الجالية اليهودية بقسنطينة السيد "حليمي" وذلك في ربيع 1956، ومن خلال هذه الرسالة تأسف جيش وجبهة التحرير الوطني على واقع تعامل يهود الجزائر مع الثورة، وكيف أن يهود قسنطينة وقعوا في الأخطاء وقاموا بمقاطعة المسلمين، رغم أن المتوقع كان أن يتخذ اليهود أحد السبيلين إما البقاء على الحياد وإما إعانة الثورة التحريرية إلا أن العكس هو الذي حدث¹².

ورغم أن هذه الرسالة الأولى غلب عليها طابع التأنيب، إلا أن الجبهة في رسالتها الثانية لليهود تداركت الأمر ووجهت خطابا مباشرا للطائفة اليهودية عامة، هذا الخطاب نشر في جريدة المجاهد وقد جاء على شكل رسالة مؤرخة بتاريخ الأول من أكتوبر 1956، وقد وجهت إلى كبير حاخامات الجزائر آنذاك "موريس إيزنباث" وإلى أعضاء المجمع الديني الاسرائيلي وإلى المنتخبين والمسؤولين عن الطائفة اليهودية بالجزائر¹³.

أما عن محتوى الرسالة فهي طويلة استهلتها الجبهة بـ: "سيدي الحاخام ومعشر السادة والمواطنين الأعزاء"، وقد حاولت الجبهة من خلالها تذكير اليهود بما كانوا ينعمون به في جزائر الأخوة في حين أن فرنسا كانت تعتبرهم حيوانات: "ولكنه يجدينا نفعا أن نذكر بالعهد الذي كان فيه اليهود بفرنسا أقل اعتبارا من الحيوان. وكان ممنوع عليهم دفن أمواتهم وكانوا يضعون الأموات تحت التراب اختلاسا بالليل في أي مكان لأنه كان ممنوعا عليهم منعا كليا أن يملكو أدنى مقبرة من المقابر. وقد كانت الجزائر في نفس الوقت مأوى لجميع الإسرائيليين وأرض حرة لهم يفرون إليها من القمع والاضطهاد الديني..."¹⁴.

ثم ذكرت الجبهة أنها: "لترجوا من قادة الجماعة اليهودية أن تؤدي بهم الكلمة إلى المشاركة في تشييد الجزائر الحرة ذات الإخاء الحقيقي، وما هذا الرجاء منها إلا لأنها تعتبر الإسرائيليين الجزائريين من أبناء الوطن"، وفي ختام الرسالة أكدت الجبهة أنها: "واثقة من أن المسؤولين سيفهمون أنه من واجبهم وأنه من المصلحة الرشيدة لجماعاتهم الإسرائيلية ألا تبقى بعيدة عن الغوغاء، وألا تحكم بدون تحفظ على النظام الاستعماري المحتضر وأن تصرح باعترافها الجنسية الجزائرية"¹⁵.

أما عن ردة فعل اليهود من هذه الرسالة فقد التزم كبير حاخامات الجزائر "إيزنباث" الصمت. وذلك بحجة أنه حتى سلطة المجالس الدينية والتي تعتبر الوحيدة التي لها الحق في أن تمثل المصالح الروحية والدينية لليهود لا تستطيع الرد باسم كل الاخوة في الدين¹⁶.

في حين أن "لجنة يهود الجزائر للدراسات الاجتماعية" وفي نوفمبر 1956، أصدرت تصريحاً من خلال صحيفتها "الأخبار اليهودية" حددت من خلاله موقفها من الثورة، فذكرت أن المجتمع الإسرائيلي لا يفترض به بأي شكل من الأشكال أن يشكل كيانا سياسياً، وأنه لا يوجد شخصية تتجرأ على الحديث باسمه¹⁷.

ومع ذلك كان هناك من اليهود من تجاوز مع رسالة جبهة التحرير الودية والتي لا تخلو من تعابير الاحترام والإخاء وحتى الترجي، فقد نشرت جريدة "المقاومة الجزائرية" مقالا من صياغة جماعة من اليهود بعنوان: "تصريح جماعة من اليهود" هذه الجماعة استهلت هذا المقال بالعودة إلى العصور القديمة والهجرات الأولى لليهود إلى السواحل الجزائرية وكيف أنهم اختلطوا بسكان البلاد ونشروا فيهم دينهم إلى أن جاء الفتح الإسلامي حينها تعرب اليهود، وساهموا في المقاومة العنيفة التي أبدتها قسنطينة "للفاتحين الفرنسيين" الذين منحوا اليهود المواطنة الفرنسية لفصلهم عن الشعب الجزائري، وكيف أن السلطات الفرنسية لم تتجح في سياسة التفرقة فلجأت إلى الترويج عن إسرائيل، فأكد هؤلاء اليهود أن "الذين ينفادون إلى تلك الدعوة إنما هم شواذ على هامش طائفتنا التي قاست الكثير من أهوال العنصرية"¹⁸.

وفي موضع آخر من الجريدة وكنتمه لهذا المقال: "أكدت هذه الجماعة من اليهود أنه قد حان الوقت للعودة إلى الطائفة الجزائرية، وأن الإخلاص للمواطنة الفرنسية وهم وخيال حتى أن أغلب اليهود يحملون أسماء عربية لا يمكن نكرانها، وأن الجبهة حينما وجهت نداءها لليهود للالتحاق بالأمة الجزائرية فهي لم تطلب منهم أن لا يتنكروا لأصلهم وحقيقتهم لأنهم في حاجة إلى مساهمتهم في بناء الجزائر الحديثة"¹⁹.

وفي ختام هذا التصريح أعرب هؤلاء اليهود عن رغبتهم في عودة السلام إلى الجزائر عن طريق فتح مفاوضات بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني، وتمنوا أن يروا "ربي" الجزائر الأكبر أن يعرب عن رغبته في تلك المفاوضات²⁰.

ثم توالى الرسائل والمناشير ذات الطابع الودي والسلمي من الجبهة ليهود الجزائر للالتحاق بالثورة، النداء هذه المرة كان من الولاية الخامسة في الغرب الجزائري، وذلك سنة 1958 وفيه طالبت الجبهة من اليهود التحرك بسرعة والانضمام إلى الثورة، وأنها تمد لهم يدها الأخوية وتدعوهم إلى الواجب، وأن يعبروا عن إرادتهم في البقاء جزائريين والعمل من أجل بناء وطن جزائري حر ومتقدم ومستقل²¹.

بدورها الولاية الرابعة وجهت نداء لليهود في أوت 1958، وفيه طالبت الجبهة من اليهود أن يفهموا أن المسلمين مسالمين، وأن فرنسا هي التي اقتلعت اليهود من جذورهم الجزائرية، وأن الجزائر لطالما كانت مضيافة لهم خاصة في أيام المحن²².

وقد عملت جبهة التحرير الوطني على توضيح موقفها المسالم والودي اتجاه يهود الجزائر حتى على المستوى الدولي، ففي جوان 1958 ردت الجبهة على استفسار المجلس الأمريكي لليهودية حول وضع اليهود في الجزائر في المستقبل، فأكدت أن الجزائر ستكون دولة ديمقراطية اشتراكية تقضي على كل أنواع التمييز العنصري والديني وتعامل جميع من يودون الاشتراك ببناء الجزائر، وضربت الجبهة مثالين بتونس ومراكش

حيث أن حقوق الأقليات مصانة وأفرادها يلعبون دورا كبيرا في الحكومة، وقد اندمجوا في الحياة السياسية والاجتماعية²³.

وعلى الرغم من أنه مع نهاية 1959 أصبحت النداءات الموجهة من الجبهة إلى اليهود أكثر ندرة²⁴، إلا أن فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا بادرت ببعث نداء لليهود في ديسمبر 1959 طالبت فيه اليهود بعدم التردد ودعتهم إلى دعم الثورة التي تعترف لهم بالجنسية الجزائرية²⁵.

ولما بدأت بوادر الاستقلال تلوح في الأفق مع بداية الستينات، أخذت الجبهة تصدر النداء تلو الآخر أملا منها أن تجد العقول الحكيمة التي تتصر الحق ضد الباطل، وفي فيفري 1960 أعلنت الجبهة أن اليهود جزء لا يتجزأ من الشعب الجزائري، وأن الأمر لا يتعلق بالاختيار بين فرنسا والجزائر ولكن ليصبح اليهود مواطنون فاعلون في بلدهم الحقيقي²⁶.

وفي ربيع سنة 1961 وجهت الجبهة من الولاية الرابعة -ناحية تنس- رسالة إلى يهود المقاطعة حددت فيها الأهداف منذ البداية، وجاء فيها أن: "هذه الرسالة ليس لها أي غرض آخر سوى أن تطلب منكم التفكير في المشاكل التي لا يمكنكم تفاديها لأنها تؤثر فيكم عن قرب ومتعلقة مباشرة بمستقبلكم"، كما ذكرتهم أن الجزائر أوتهم بعد هروبهم من محاكم التفتيش والاضطهاد العرقي والديني في أوروبا، وأن المستشار الأول لـ "الأمير عبد القادر" كان يهوديا، كما ركزت على المستقبل وكيف أن الاستعمار اقتربت نهايته وأن على اليهود أن يختاروا مستقبلهم كما اختار يهود المغرب وتونس من قبل²⁷.

وفي صيف 1961 وجهت جبهة التحرير منشورا من الولاية الرابعة إلى يهود الجزائر، هذا المنشور كان مقتضبا، ولكن الرسالة كانت واضحة وهذا نصه: "يعلمكم التاريخ بأنكم أصلا أبناء الجزائر

تحيا ذات الهيبة G.P.R.A

المسلمون الجزائريون عانوا من العنصرية

لا يريدونها

غدا ضد يهود الجزائر

تحيا جبهة التحرير الوطني !

جزائريو الطائفة اليهودية

وحدوا قواكم مع مواطنكم المسلمين

من أجل أن تحيا جزائر الاستقلال

يحيا جيش التحرير الوطني المجيد"²⁸.

3. الأسلوب الودي المتسامح في خطابات الجبهة ليهود الجزائر

سبق وذكرنا أن المرجعيات الإنسانية والتسامح استمدها قادة الثورة من انتمائهم للدين الإسلامي، الذي يلزم المسلم بحسن معاشرته أهل الذمة وب حمايتهم من جميع الأخطار سواء الداخلية أو الخارجية، وكذلك من

البعد التاريخي للجزائر التي طالما ضربت الأمثال في التسامح والإخاء بين مختلف أطيافه وانتماؤه العرقية والدينية، خاصة مع اليهود الذين يرجع تاريخ وجودهم بالجزائر إلى ألفي سنة مضت، عاشوا من خلالها في سلمية مع الجزائريين مشتركين معهم في نفس اللغة والعادات وحتى المأكل والمشرب.

وانطلاقاً من هذين البعدين الديني والتاريخي، فقد تمسكت الثورة بأخلاقيات التواصل والحوار اتجاه اليهود، واستعملت الجبهة خطاب الإقناع وحتى التوسل والترغيب، حتى أن أغلب الخطابات لم تتضمن عبارة التهيب أو الضغوط²⁹.

وقد حاولت الجبهة من خلال الرسائل والمناشير التي وجهتها لليهود أن تفهمهم مبادئها القائمة أساساً على السلمية والعدل الذي سوف يتمتع بها يهود الجزائر في ظل الجزائر المستقلة، وإمعاناً من الجبهة في إقناع اليهود بإيديولوجيتها كثيراً ما كانت تذكرهم بما عانوه وقاسوه في فرنسا نفسها من حرمان من الحقوق، وإهانات جرّدتهم من خلالها من إنسانيتهم، وجعلت من طائفتهم تصنف أدنى من درجة العبيد، وأنهم لم يجدوا الأمان والسلم إلا في ظل المسلمين.

وقد خصصت جبهة التحرير الوطني مقالاً مطولاً عن تاريخ علاقة اليهود بفرنسا سواء في الجزائر أو فرنسا، هذا المقال نشرته في جريدتها ولسان حالها "المقاومة الجزائرية" وجاء تحت عنوان "اليهود والقومية الجزائرية"³⁰ في حين أن النسخة الفرنسية من ذات الجريدة فقد عنونت المقال بـ: "مواطنينا الإسرائيليّين"³¹.

من خلال هذا المقال انتهجت الجبهة دور المتسامح ودور الأب الذي يعفو عن أبنائه إذا ما قصرُوا في واجباتهم، حتى أنها أوجدت لهم الأعذار والمبررات عندما لم يتخذوا موقف واضح من الثورة، وذكرت أن ذلك نتيجة حرجة موقفهم بين الجبهة والاستعماريين وذكرتهم بأن الجبهة تحاشت لحد الآن كل عقوبة تمس بالمواطنين اليهود لكيلا تفتح الباب لاتهامها بالتعصب العنصري³².

كما نلاحظ من خلال خطابات جبهة التحرير الموجهة لليهود أنها كثيراً ما كانت تستعمل مصطلحات ودية، فكانت تناديهم بـ: "الأخوة" و"المواطنين الأعزاء" و"مواطنينا الإسرائيليّين" و"أبناء البلاد" وغيرها من المصطلحات التي تتم عن عمق العلاقة التي كانت تربط اليهود بالمسلمين الجزائريين قبل الاحتلال الفرنسي وقبل صدور "مرسوم كريميو" الذي سلخهم عن هويتهم الجزائرية وأدخلهم إلى العالم الغربي.

ولعل ما يؤكد النية الحسنة لجبهة التحرير، وطابعها الإنساني في كسب ود اليهود هو تجنبها بث الفتنة بين المسلمين واليهود عقب أحداث قسنطينة في ماي 1956، إذ أنه وعقب تلك الأحداث الدامية التي جرت يومي 12 و13 والتي راح ضحيتها أكثر من 60 مسلم³³. إلا أن محرري مقال جريدة المجاهد حول تلك الأحداث، وإن كانوا قد فصلوا في ذكر الأحداث، إلا أنهم اكتفوا بالقول أن المعتدين كانوا فرنسيين ولم يأت ذكر اليهود مطلقاً في متن المقال رغم أن هذه الأحداث افتعلها اليهود وكان مديراً لها من قبل. واكتفت الجريدة وفي تنبيه لها في آخر المقال بالقول: "ويشير التقرير الذي بلغنا إلى الظن بأن جل الفرنسيين الذين دبّروا هذه الاغتيالات الشنيعة من أصل يهودي"³⁴.

إن اعتماد جبهة التحرير الوطني على مثل هذه الأساليب الراقية والإنسانية مع اليهود ينم عن معطيات تاريخية وسياسية كثيرة، ويبين لنا مدى نضج التفكير السياسي والدبلوماسي لدى قادة الثورة، وعن إلمامهم بواقع الطائفة اليهودية داخل المجتمع الجزائري عبر العصور، وكيف أن المناضلين تحاشوا الدخول معهم في معاركات إلا في حالات نادرة.

أما عن الأسباب التي جعلت جبهة التحرير تنتهج هذا المنهج مع اليهود، فهي كثيرة منها: أن الجبهة أصرت على الإجماع الوطني، وصممت على عدم ترك جزء من الشعب الجزائري في الجهة المناوئة، كما عملت على إظهار مشروعها الثوري بمظهر المتفتح على مختلف الأعراق والأديان، وطمأنت الرأي العام بخاصية الديمقراطية والعلمانية للجمهورية الجزائرية المستقبلية³⁵.

أما محمد لجاوي والذي كلف من الجبهة بدراسة ملف الطائفة اليهودية، فقد أرجع هذا الأسلوب في التعامل مع اليهود إلى العامل السياسي والخوف من اتهام الجبهة بمعاداة السامية، وقد أوجز هذا السبب فيما يلي: "إذا نجحنا في الحصول على تعاطفهم نكون قد أفسدنا مناورات الاستعمار، إذا فشلنا، فسنتبث على الأقل نضجنا السياسي من خلال رفض الاستسلام لتساهل لا يليق بنا. فالثوري الأصيل يجب أن لا يكون لديه أي تهاون، حتى لو كان غير مباشر فيما يخص معاداة السامية"³⁶.

من جهته الدكتور مناصرة رجح اهتمام الجبهة بيهود الجزائر، وانتهاجها ذلك النهج معهم إلى تغلب الروح اليسارية المفرطة التي كان يتحلى بها بعض محرري ميثاق الصومام الذين كانوا أصدقاء لكثير من اليهود في إيديولوجية الحزب الشيوعي الفرنسي والجزائري أيضا³⁷.

ويمكن أن نضيف إلى كل هذه الأسباب البعد العالمي للقضية الجزائرية وكيف أن قادة الثورة لما أرادوا أن يوصلوا صوت الثورة إلى المحافل العالمية وبالأخص إلى منبر الأمم المتحدة، لاحظوا النفوذ الكبير لليهود سواء في هذه الهيئة أو في الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى في فرنسا نفسها، وكيف أنهم يسيطرون سيطرة تامة على الإعلام العالمي المرئي والمسموع والمكتوب، وعلى مراكز القرارات العالمية، ولهذا كان لزاما على الجبهة اعتماد التواصل الودي مع اليهود وبالتالي يظهرون للعالم أنهم قاموا بواجبهم اتجاههم.

ويبقى المهم أن الخطاب الودي والمتسامح للجبهة اتجاه اليهود استقطب عدد لا بأس به منهم، واقتنعوا بمبادئ الجبهة وبعادلة قضيتها مع أن غالبية اليهود بقوا إما محايدون أو معادين للثورة، واليهود أنفسهم يعترفون أن التحاق اليهود بالشبكات السرية لجبهة التحرير لم تتوقف³⁸. كما قام اليهود المساندون للثورة بإنشاء "لجنة اليهود الجزائريين المؤيدين لاستقلال الجزائر" ضمت عشرات المثقفين من بينهم: "كلود سيكسو" والدكتور "بيار بن كمون" و"جون ألوش" و"أندي أكون" و"بيار أثال" وقد عارضت هذه اللجنة حق المجلس الديني اليهودي في التكلم باسم كل يهود الجزائر، وأعرب أعضاؤها عن مساندتهم لاستقلال الجزائر³⁹، كما أنها توافق على محتوى النداء الذي بعثته الجبهة إلى يهود الجزائر -الرسالة الموجهة إلى الحاخام- ورأت أنه سيفتح أمامهم المستقبل السياسي. وينددون بكل قواهم سياسة الاحتلال التي تدعي نشر السلام⁴⁰.

وهناك حتى من يهود الجزائر المقيمين بالخارج من لبي نداء الجبهة منهم يهود الجزائر المقيمين بالمغرب، حيث نشرت جريدة المقاومة الجزائرية مقالات بعنوان: "وعي اليهود الجزائريين المستقرين بالمغرب" وما يلفت الانتباه هو أن هؤلاء اليهود بعثوا برقية إلى هيئة الأمم المتحدة في الوقت الذي كانت القضية الجزائرية ستعرض على الجمعية العامة، وقد أبدوا فيها "عن رغبتهم في أن يروا الحكومة الفرنسية تنجح إلى التفاوض مع جبهة التحرير الوطني التي هي الممثل الوحيد الكفء للشعب الجزائري على أساس الاعتراف باستقلال الجزائر مع احترام وحماية المصالح المشروعة لمختلف الطوائف السكانية في الاقليم الجزائري"⁴¹. وبالفعل بدأت المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة الجزائرية، ومن أهم المسائل التي عرقلت سير المفاوضات موقع الأقلية الأوروبية في الجزائر المستقلة.

4. قيم العدل والمساواة مع الأقليات في اتفاقيات إيفيان

إن أول مشكلة طرحها مع البداية هي موقع اليهود من الأقليات، هل هم أقلية محلية؟ أم هم ضمن الأقلية الفرنسية والأوروبية؟ وبالتالي ما هي المعايير التي سيعاملون بها في حال الوصول إلى اتفاقيات نهائية؟ سبق وذكرنا أن الجبهة اعتبرت طائفة يهود الجزائر من السكان المحليين وينطبق عليهم ما ينطبق على المسلمين الجزائريين، في حين أن فرنسا ومنذ "مرسوم كريميو" عملت على اعتبارهم فرنسيين كاملي الحقوق.

هنا كان لليهودية العالمية دورها في توجيه طرفي المفاوضات، حيث أنه في الفترة التي سبقت "محادثات إيفيان" حصل الدكتور "ناحوم جولدمان" رئيس المؤتمر اليهودي العالمي من السيد "جوكس" -المفاوض الفرنسي- على الضمانات بأن على المفاوضين الفرنسيين أن لا يقبلوا أبدا الفرضية التي تعتبر إسرائيلي الجزائري سكان محليين وأن الشروط الخاصة بالمواطنين ذو الأصل الفرنسي لا تنطبق عليهم، إلا أن "جوكس" أكد للدكتور "جولدمان" بأن إسرائيلي الجزائر هم أيضا مواطنون فرنسيون وسيعتبرون دائما كذلك⁴².

وبما أن اليهود لا يتركون مجالا للصدفة اتصل الدكتور "جولدمان"، أيضا بمسؤولي جبهة التحرير الوطني، وتمت بين الطرفين عدة لقاءات في كل من جنيف وروما ونيويورك طرح خلالها "جولدمان" نفس المخاوف، في البداية أظهر الجزائريون على خلاف الفرنسيين معارضتهم لأية خطة لمنح الإسرائيليين معاملة مماثلة لتلك المخصصة للسكان ذو الأصل الأوروبي، إلا أن جبهة التحرير اضطرت في الأخير للموافقة على طلب المؤتمر اليهودي العالمي، وبهذه الطريقة ألحق يهود الجزائر بالأقلية الأوروبية⁴³.

كانت مشكلة الأقليات في الجزائر بالإضافة إلى مشكلة الصحراء من أهم العراقيل التي واجهت مفاوضي فرنسا ومفاوضي الحكومة المؤقتة، وهاتان القضيتان هما من أطال أمد المفاوضات فقد بدا جليا من البداية أن فرنسا لم تكن تستهين بكل ما يخص الأقلية الأوروبية بما فيها اليهود.

وقد جاء في مذكرة فرنسية حول القضية الجزائرية تعود إلى سنة 1957 أن من أهم العوامل الأساسية الواجب أخذها بعين الاعتبار هو وجود عدة مجموعات عرقية في الجزائر، هذه الظاهرة اعترف بها عدة مرات

الرأي العام الدولي الذي يوافق على أن يسمح نظام الجزائر المقبل بالتعايش السلمي بين مختلف المجموعات
44.

ومما زاد في صعوبة مشكل الأقليات تعنت الجانب الفرنسي، إذ أنه اشترط وضع قوانين تخضع لها المدن الجزائرية الكبرى خاصة بالفرنسيين، هذه القوانين وضّحها "لويس جوكس" في ندوة صحفية عقدها يوم 8 ماي 1961 أعلن فيها أن الأقلية الأوروبية يجب أن توفر لها ضمانات داخلية وخارجية، فعلى الصعيد الداخلي يجب أن تضمن لها هويتها بمعنى أن الجزائر المستقبلية يجب أن تكون متعددة الطوائف مثل: لبنان وقبرص، أما على الصعيد الخارجي فيجب أن يضمن لها حقوق الأقليات حسب القوانين الدولية⁴⁵.

كما أنه في حين أن فرنسا كانت تصر على منح الجنسية المزدوجة للأقلية الأوروبية، باعتبار أنهم سيمتلكون الجنسية الجزائرية لأنهم يعيشون في الجزائر وهم متعلقون بها، والجنسية فرنسية لأنهم يريدون أن يبقوا فرنسيين⁴⁶. كان مفاوضو جبهة التحرير مصرون بدورهم على المبدأ المذكور في ميثاق الثورة وهي وحدة الأمة الجزائرية وأن الشعب شعب واحد، وأن على هذه الأقلية أن تختار الجنسية الجزائرية، وسيكون لها نفس الحقوق والواجبات مع المواطنين الجزائريين دون تمييز عرقي أو ديني، مع احترام تقاليد أفرادها وتراثهم الثقافي ومميزاتهم الحضارية، أو أن يختاروا الجنسية الفرنسية وفي هذه الحالة فالجبهة مستعدة لتحديد مستقبلهم كأجانب على أساس واقعي عادل لا يتعارض مع مصالح الشعب العليا⁴⁷.

وكان "كريم بلقاسم" واضحا منذ أول لقاء في إيفيان -20 ماي 1961- فيما يخص مسألة الأقليات، وصرح بأن الاستقلال بالنسبة للجبهة ليس مرادفا للحقد، وأن المصالح المشروعة لهؤلاء الأوروبيين يمكن لها أن تزهر، وأن كل ذي الإرادات الحسنة سيكون لهم مكانهم دون تمييز في العرق أو العقيدة⁴⁸.

وبقيت الجبهة مصرّة على مبدئها هذا في جميع اللقاءات التي جمعت الوفدين الفرنسي والجزائري، وأكد "كريم بلقاسم" أنه: "بالنسبة لفرنسيي الجزائر المواطنة الجزائرية لكل الذين يرغبون فيها، هذا هو الحل الأكثر إنسانية والأكثر واقعية والأكثر ديمقراطية"، أما فيما يخص خصوصياتهم ذكر "كريم بلقاسم": "أننا مستعدون لكي نناقش كل أنواع الضمانات الهادفة إلى الحفاظ على حقوق الإنسان والمواطن، كالوضع الشخصي وحرية ممارسة العبادة ومجالات كثيرة يستطيع الأوروبيون أن يضمنوا فيها تفتحهم دون إكراه"⁴⁹.

وهذا بدوره "فرحات عباس" رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة أكد على القيم الإنسانية التي سوف تتمتع بها الأقليات في ظل الجزائر المستقلة، ومن خلال نداء وجهه إلى أوروبي الجزائر بتاريخ 17 فيفري 1960 ذكر أن: "الجزائر الجديدة لن تكون فيها حواجز عنصرية، ولا أحقاد دينية، أنها ستحترم كل القيم وكل المصالح المشروعة". وأضاف: "أن الذين كان لهم من بينكم الشجاعة وبعد النظر ما دفعهم إلى مناهضة النظام الاستعماري، والانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني يعرفون أنه لا يوجد عندنا أي أثر للعنصرية، إنهم يعيشون الأخوة الجزائرية بالفعل"⁵⁰.

وبعد مفاوضات شاقة وعسيرة، توصل الطرفان الفرنسي والجزائري إلى اتفاقيات نهائية وقع عليها عن الجانب الفرنسي "جوكس" وعن الجانب الجزائري "كريم بلقاسم"، وذلك بتاريخ 18 مارس 1962، وحدد موعد وقف إطلاق النار بتاريخ 19 مارس 1962.⁵¹

وفيما يخص وضع الأقلية الأوروبية التزمت الجزائر أن تضمن حرية المعتقدات وحرية إقامة الشعائر الدينية المسيحية واليهودية، وتكفل لهذه الطوائف حرية تنظيمها وممارستها لعقائدها وحرية تعلمها لهذه العقائد كما تكفل حرية أماكن العبادة، كما تضمنت الاتفاقيات مجموعة من البنود التي تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية لهذه الطوائف.⁵²

وأن هذه البنود بعثت شعور الارتياح على مسؤولي اليهود في العالم، ففي بيان صحفي صدر بنيويورك يوم 19 مارس 1962، أعرب المؤتمر اليهودي العالمي عن ارتياحه فيما يخص اتفاق إيفيان، وهنأ مسؤولي الجبهة بقبولهم اعتبار إسرائيليين الجزائر لهم نفس حقوق السكان ذو الأصل الأوروبي، كما أكد البيان أن كل يهود العالم يقدرّون هذا الموقف والذي يعطي أهمية ضمنية لحق الإسرائيليين في مغادرة بلدهم.⁵³

وبالفعل، ورغم أن الجبهة حاولت أن توجد بيئة مناسبة لأوروبيين عموما واليهود خصوصا في الجزائر الجديدة، إلا أن هؤلاء اختاروا في الأخير الارتباط بفرنسا، وما إن حلّ موعد الاستقلال حتى كانت جموع اليهود والمعمرين على وشك الرحيل، ومن مجموع 140 ألف يهودي بالجزائر⁵⁴ لم يتبق منهم سوى 25000 يهودي، وبحلول سنة 1963 انخفض هذا العدد إلى 3000 فقط موزعين على: مدينة الجزائر 1500، وهران 800 وعنابة 100، قسنطينة 160 و 70 في باتنة و 20 في سطيف و 80 في البليدة، ومع نهاية فترة الستينات لم تعد الطائفة اليهودية تشكل سوى أفراد معزولين.⁵⁵

حدث هذا رغم أن السلطات الجزائرية بعد الاستقلال حاولت أن توقف تيار هجرة اليهود، وأن تشعرهم بالطمأنينة والأمن حتى أنها أبقت تحت تصرفهم بيعتين، واحدة بمدينة الجزائر والأخرى بوهران، زيادة على ذلك جعلت الأعياد الدينية اليهودية عطلة رسمية، شأنها شأن الأعياد الدينية الخاصة بالمسلمين، كما وجهت دعوة إلى الحاخام "سرور" المسؤول عن الطائفة اليهودية لحضور جلسة افتتاح البرلمان الجزائري سنة 1963.⁵⁶

خاتمة

حاولت جبهة التحرير الوطني عبر مختلف النصوص والمناشير استدراج يهود الجزائر إلى صفها، وعملت على إقناعهم بضرورة الالتحاق بالثورة التحريرية ومساندة الشعب الجزائري. والذي هم في الأصل جزء منه في قضيتهم ضد الاستعمار الفرنسي، وقد اعتمدت الجبهة في سبيل تحقيق هذا الهدف على الأساليب الودية التي تحمل في طياتها عبارات التسامح والسلم اتجاه هذه الطائفة، كما اتسمت بالليونية وعدم إتباع أساليب التهديد والوعيد، وهذا ما يدل على الطابع الإنساني للثورة التحريرية والذي قل ما يتوفر في باقي الثورات.

ولكن رغم ذلك، فضل اليهود في الأخير الاحتفاظ بجنسيتهم الفرنسية، وذلك للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية التي اكتسبوها على مدار قرن من الزمن، ولهذا غادر أغلبهم الجزائر نحو فرنسا وقلة منهم نحو فلسطين المحتلة.

الهوامش:

- 1- فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج.1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص ص61-62.
- 2- Mohamed lebjaoui, Vérités sur la révolution Algérienne, anep, Alger, 2005, pp114-115.
- 3- Ibid, p115.
- 4- خلال هذه الفترة نقصد بيهود الجزائر يهود الشمال، لأنه حتى هذه الفترة يهود المناطق الجنوبية لم يكونوا قد استفادوا بعد من حق التجنيس.
- 5- نصر الدين لعوج، "الثورة الجزائرية 1954-1962 تجربة رائد للتعايش المشترك"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 10، العدد 01، جوان 2019، ص165.
- 6- محمد جغابة، بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب رسالة إلى السلم، دار هومة، الجزائر، 1999، ص127.
- 7- عبد المجيد الفضة، "البعد الإنساني في الثورة التحريرية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 3، العدد 6، 2019، ص ص 243-244.
- 8- نصر الدين لعوج، المرجع السابق، ص170.
- 9- يوسف مناصرية، النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1962، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص325.
- 10- المرجع نفسه، ص326.
- 11- لمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث ينظر: جريدة المجاهد، العدد 01، 01 جوان 1956.
- 12- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص322.
- 13- جريدة المجاهد، العدد 03، 01 سبتمبر 1956.
- 14- المصدر نفسه.
- 15- المصدر نفسه.
- 16- Richard Ayoun, **Les Juifs d'Algérie pendant la Guerre d'indépendance 1954-1962**, Archives Juives N29/1, 1 septembre, 1996, p23.
- 17- Richard Ayoun et Bernard Cohen, **les juifs d'Algérie 2000 ans d'histoire**, édition Jean Claude Lattes, paris, 1982, p.172
- 18- جريدة المقاومة الجزائرية، العدد 20، 1-10 فيفري 1957، ص5.
- 19- المصدر نفسه.
- 20- المصدر نفسه.
- 21- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 329-330
- 22- المرجع نفسه، ص 330-331
- 23- خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مراجعة وتقديم أنور محمود زناتي، مذكرة دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2015، ص291.
- 24- Richard Ayoun, Op.Cit, p.23

25- نصر الدين لعوج، المرجع السابق، ص184.

26- Richard Ayoun, Op.Cit.

27- الرسالة كاملة في : Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, le FLN Document et Histoire 1954-1962, edition Casbah, Alger, 2004, pp.594-596

28- ibid, pp. 599-600

29- نصر الدين لعوج، المرجع السابق، ص184.

30- المقاومة الجزائرية، العدد 11، ص04.

31- Resistance Algérienne, N11, p.6

32- جريدة المقاومة الجزائرية، العدد 11.

33- المجاهد، العدد 01، 1 جوان 1956.

34- المصدر نفسه.

35- Belaid Abane, **Resistances Algériennes Abane Ramdane et les fusils de la Rébellion**, éditions casbah, Alger, 2011, p.438

36- Mohamed Lebjaoui, Op.Cit, p.117

37- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 326.

38- Richard Ayoun et Bernard Cohen, Op.Cit, p.173

39- رشيد خطاب، **الخواوة والرفاق**، ترجمة محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي، دار خطاب، الجزائر، 2013، ص255.

40- المقاومة الجزائرية، العدد 22، 11-28 فيفري 1957، ص06.

41- المقاومة الجزائرية، العدد 18، 20 جانفي 1957، ص06.

42- Le Monde, N° 5340, Mardi 20 Mars 1962.

43- ibid

44- رضا مالك، **الجزائر في إيفيان المفاوضات السرية 1956-1962**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، دار الفارابي، الجزائر، بيروت، 2003، ص ص462-463.

45- بشير سعدوني، "اتفاقيات إيفيان 18 مارس 1962 وردود الفعل المختلفة حولها"، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد 5، 2016، ص378.

46- رضا مالك، المرجع السابق، ص ص182-183.

47- المقاومة الجزائرية، العدد 20، 1-10 فيفري 1957، ص5.

48- المصدر نفسه، ص168.

49- المصدر نفسه، ص185.

50- جريدة المجاهد، العدد 62، 22 فيفري 1960.

51- سعد دحلب، **المهمة المنجزة من أجل استقلال الجزائر**، منشورات دحلب، (د.م.ن)، (د.ت)، ص160.

52- رضا مالك، المصدر السابق، ص426.

53- Le Monde, ibid.

54- ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، ج.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص305.

55- Richard Ayoun et Bernard Cohen, Op.Cit, p.193

56- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص305-306.

قائمة المصادر والمراجع:

الجرائد:

- المقاومة الجزائرية، (ب. ت)، العدد 11.
- المقاومة الجزائرية، (20 جانفي، 1957)، العدد 18.
- المقاومة الجزائرية، (11-28 فيفري، 1957)، العدد 22.
- جريدة المقاومة الجزائرية، (10-01 فيفري، 1957)، العدد 20.
- المجاهد، (1 جوان، 1956)، العدد 01.
- جريدة المجاهد، (22 فيفري، 1960)، العدد 62.
- جريدة المجاهد، (01 سبتمبر، 1956)، العدد 03.

الكتب:

- البيطار، فراس، (2003)، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج.1، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- جغاية، محمد، (1999)، بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب رسالة إلى السلم، الجزائر، دار هومة.
- خطاب، رشيد، (2013)، الخاوة والرفاق، ترجمة محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي، الجزائر، دار خطاب.
- دحلب، سعد، (د.ت)، المهمة المنجزة من أجل استقلال الجزائر، (د.م.ن)، منشورات دحلب.
- سعيدوني، ناصر الدين، (1988)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج.2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- قاسمية، خيرية، (2015)، يهود البلاد العربية، مراجعة وتقديم أنور محمود زنتي، بيروت، لبنان، مذكرة دراسات الوحدة العربية.
- مالك، رضا، (2003)، الجزائر في إيغاف المفاوضات السرية 1956-1962، الجزائر، بيروت، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، دار الفارابي.
- مناصرية، يوسف، (2009)، النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1962، الجزائر، دار البصائر.

المجلات:

- الفضة، عبد المجيد، (جوان 2017)، "البعد الإنساني في الثورة التحريرية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 3 العدد 6.
 - لعوج، لصر الدين، (جوان، 2019)، "الثورة الجزائرية 1954-1962 تجربة رائد للتعايش المشترك"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 10، العدد 01.
- المراجع والمصادر الأجنبية:

- Abane, Belaid, (2011), **Résistances Algériennes Abane Ramdane et les fusils de la Rébellion**, Alger, éditions casbah.
- Resistance Algérienne, (s.d.). (N11).
- Ayoun, Richard, (1996, septembre 1), **Les Juifs d'Algérie pendant la Guerre d'indépendance 1954-1962**, Archives Juives N29/1.
- Le Monde, (1962, Mars Mardi 20), N° 5340.
- Lebjaoui, Mohamed, (2005), **Vérités sur la révolution Algérienne**, Alger, anep.

- Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, (2004), **le FLN Document et Histoire 1954–1962**, Alger, édition Casbah.
- Richard Ayoun et Bernard Cohen, (1982), **les juifs d'Algérie 2000 ans d'histoire**, paris, édition Jean Claude Lattes.